

الأنساق الثقافية في الرواية النسائية العربية المعاصرة

رواية "في البال" لغصون رحال أنموذجا

Cultural Patterns in the Contemporary Arabian Women's Novel The Novel « IN THE MIND » by GHOSOUNE REHAL as example

د. فريال تواتي*

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي
(الجزائر)

touatiferyal2018@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/22

ملخص:

تحاول هذه الدراسة الكشف عن مختلف الأنساق الثقافية الكامنة في النص الروائي النسائي العربي المعاصر؛ من خلال السعي إلى دراسة رواية "في البال" للروائية غصون رحال كنموذج روائي نسائي عربي معاصر؛ بغية استجلاء مختلف الأنساق الثقافية القابعة في متن هذا النص الروائي المحمل بالكثير من الخطابات المسكوت عنها والتي تستوجب الوقوف عندها واستنطاقها لكشف مضمورها، وهو ما يقودنا إلى طرح الإشكالية الآتية: ما هي أهم الأنساق المضمرة التي تضمنتها رواية "في البال"؟.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية، رواية، نسائية، عربية، المسكوت، القابعة.

Abstract:

This study attempts to reveal the different cultural patterns latent in the contemporary Arabian women's narrative text, through studying the novel « IN THE MIND » by novelist GHOSOUNE REHAL as a contemporary Arabian women's narrative example, in order to extract the different cultural patterns latent within this women's narrative text that contain a lot of untold speeches which require to stop by and to make them speak to discover their implicit content which leads us to propose the following problem : what is the most important implicit patterns contained in the novel « IN THE MIND » ?.

Keywords: Cultural patterns, novel, women, Arabian, untold, latent.

. مقدمة:

عمدت الرواية العربية على اتخاذ من روايتها مصدرا للروح عن العديد من القضايا المسكوت عنها، مقدمة في ذلك خطابا سرديا متميزا بما يحمله من جرأة في الطرح وبما يتضمنه من أنساق مضمرة تنم عن جوهر السعي الدائم لخوض غمار الاهتمام بالقضايا الإنسانية والكشف عن كل ما تم تزييفه من وقائع، معتمدة في ذلك أسلوبا ينم عن حس أنثوي متميز منفتح للتعبير عن كل القضايا والسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية،... وغير ذلك، مبطة في ذلك الفكرة القائلة بأن المرأة الكاتبة ومنه الرواية جعلت من إبداعها وسردها مصدرا للتعبير عن قضاياها وهمومها ليس إلا؛ فالرواية سعت إلى إبطال هذا الطرح من خلال تشكيل نصوص سردية محملة بالعديد من الخطابات المعبرة عن كل القضايا الإنسانية.

ورواية "في البال" لغصون رحال تمثل أحد أهم النماذج الروائية النسائية العربية التي عمدت فيها الرواية على تقديم نص سردي يحمل بالعديد من القضايا المسكوت عنها، مقدمة في ذلك عديدا من الأنساق المضمرة عبرت من خلالها الرواية عن العديد من القضايا التي تمس جوهر الحياة الإنسانية.

وتأسيسا على هذا جاءت هذه الدراسة لأجل البحث والوقوف عند تمثل الأنساق الثقافية في الرواية النسائية، بتعميق الدراسة في البحث خاصة عن ملامح تمثل الأنساق الثقافية في رواية "في البال" للروائية غصون رحال، منطلقين في ذلك من إشكالية جوهرية تمثلت في: ما هي أهم الأنساق الثقافية الكامنة في المتن الروائي "في البال"؟ ما هي أبرز القضايا المسكوت عنها التي تطرقت إليها الرواية غصون رحال في روايتها "في البال"؟.

2. في مفهوم النسق الثقافي:

يشكل النسق الثقافي أحد أهم المحاور بل وأساسها التي قام عليها النقد الثقافي، وهو في ذلك -النسق الثقافي- يعد مصطلحا مركبا من مدلولي النسق/ الثقافة، لذلك حرى بنا بداية التوقف عند مفهوم كل من النسق والثقافة أولا لنصل للمفهوم العام والأساسي للنسق الثقافي.

1.2 . النسق:

أ- لغة:

نجد النسق عند عبد القادر الرازي يأتي من: "(ن س ق): ثغر (نَسَق) بفتحتيْن إذا كانت أسنانه مستوية، وخرز نسق منظم والنسق أيضا ما جاء من الكلام على نظام واحد، والنسق بالتسكين مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض... والتنسيق: التنظيم"¹.

والنسق في (القاموس المحيط) يعني به: "نسق الكلام: عطف بعضه على بعض، و النسق: محرّكة ما جاء من الكلام على نظام واحد، ومن الثغور المستوية، ومن الخرز: المنظم،...ومن كل شيء: ما كان على طريقة نظام عام،... وأنسق: تكلم سجعاً، و التنسيق: التنظيم، وناسق بينهما: تابع وتناسقت الأشياء، وانتسقت وتنسقت بعضهما إلى بعض"²؛ أي أن النسق يقصد به النظام، ومنه التنظيم في الكلام.

ب-اصطلاحاً:

يجد الباحث عن مفهوم النسق تعدداً في الرؤى وتبايناً في وجهات النظر لتحديد تعريف أو مفهوم واحد جامع للنسق؛ والسبب في ذلك يعود في نظر النقاد "لارتباطه بمعارف مختلفة ومجالات علمية متباينة كالرياضيات والمنطق وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم"³ والمعارف الأخرى.

تشير كثير من الدراسات أن مصطلح النسق قد ارتبط كثيراً بمؤسس اللسانيات **دي سوسير**؛ فهو يعد المؤسس الأول له؛ والدليل في ذلك أنه "أشار إليه في إحدى محاضراته (دروس في علم اللغة العام) 1911"⁴ من خلال قوله بأن "العلامة... لا توجد خارج النسق اللغوي"⁵.

هذا ويمكن حصر بعض من التعاريف التي قدمت لمصطلح النسق في الآتي:

- يعرف النسق بأنه: "شبكة علامات ذات ترابط، وهذا الترابط تحدده طبيعة تلك العناصر؛ أي طبيعة تلك العلامات"⁶.
- ويقصد به أنه يشكل: "نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحداً، وتقتن كلتيه بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"⁷؛ أي أن النسق عبارة عن نظام يحوي عناصر لكل منها خصائص لكنها تشترك مع بعضها لتشكل عنصراً متكاملاً مترابطاً.

- وتحدد ماهية النسق بكونه يشير إلى كل "ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه، كأن نقول: إن لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها"⁸.

- والنسق أيضاً هو "مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولما كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإن النسق ليس نظاماً ثابتاً وجامداً، إنه ذاتي التنظيم من جهة، ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية، أي إنه في الوقت الذي يحتفظ فيه بنيته المنتظمة بغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية"⁹؛ أي أن النسق يعد نظاماً ليس ثابتاً بل هو متغير بتغير الظروف الاجتماعية والثقافية خاصة.

- والنسق عند **طه عبد الرحمان** هو: "جملة من العبارات المستخلصة من اللغة السليمة بطريقة اللزوم المنطقي، أو قل بصورة أدق إن النسق هو مجموعة جزئية من اللغة منغلقة انغلاقاً لزومياً؛ ومعنى الانغلاق في الاصطلاح المنطقي، أن تكون كل قضية من اللغة ثبت لزومها عن قضية أو مجموعة من القضايا التي تنتمي إلى النسق، منتمة هي الأخرى إلى النسق"¹⁰.

- واكتسب مصطلح النسق معناً ثقافياً من خلال ما قدمه **ليفي شتراوس** هذا الأخير الذي عمد على نقل "مصطلح النسق إلى المحيط الثقافي في دراسته (الأنثروبولوجيا البنيوية 1958) قائلاً بوجود نظام كلي أو عالمي سابق على الأنساق أو الأنظمة الفردية للنصوص"¹¹.

-ونجد لوقمان يقر بأن "النسق... أصبح دالا على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي بصورة عامة"¹².
مما سبق يمكن القول أن مصطلح النسق تعددت مفاهيمه والسبب في ذلك يعود في حقيقة الأمر إلى ارتباط النسق بمجالات معرفية وعلمية مختلفة.

2.2 الثقافة:

أ- لغة:

إن الثقافة في معجم "مختار الصحاح" للرازي هي من: "(ث ق ف): ثقّف الرجل من باب ظرف صار حاذقا خفيفا فهو (ثقّف) مثل ضخّم فهو ضخّم منه (المثقّفة) و(ثقّف) من باب طرب لغة فيه فهو (ثقّف) و (ثقّف) كعضد، و(الثقاف) ما تسوى به الرماح و(تثقيفها) تسويتها و(ثقّفه) من باب فهم صادفه، وخل (ثقيف) بالكسر والتشديد أي حامض جدا مثل بصل حريف"¹³؛ وهذا يعني أن الثقافة من منظور معجم مختار الصحاح يعني بها الذكاء و الفطنة والفهم السريع الخفيف.

ب- اصطلاحا:

لقي مصطلح الثقافة هو الآخر تعددا في المفاهيم التي وضعت له؛ وذلك لتباين وجهات نظر النقاد ولاختلاف توجهات كل واحد منهم، ومن أبرز المفاهيم والتعاريف التي وضعت للثقافة نجد:
-عرفت الثقافة بأنها: "شبكة من المعاني والرموز والإشارات التي نسجها الإنسان بنفسه، لإعطاء الغاية والمعنى لنفسه وجماعته والعالم والكون من حوله، إذ بدون ذلك تنتفي القدرة على السلوك المجاوز للفعل الغريزي والمفارق له، وتنتفي بالتالي الحدود بين ما هو بشري وما هو حيواني صرف"¹⁴.
-ويقصد بالثقافة في حقل العلوم الاجتماعية أنها "كل ما هو موجود في المجتمع الإنساني، ويتم توارثه اجتماعيا وليس بيولوجيا"¹⁵؛ أي أن الثقافة في أساسها متشكلة من لبنة اجتماعية.

-والثقافة عند كل من **كروبير** و**كلاكهون** تتألف من أنماط مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول، عن طريق الرموز، فضلا عن الانجازات المتميزة للجماعات الإنسانية، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية وكافة القيم المتصلة بها"¹⁶.

-وفي حقل الأنثروبولوجيا نجد أن الثقافة "تشير إلى نموذج المعتقدات وقيمها، وهو ما ينعكس في الحرف اليدوية والأغراض والمؤسسات التي تمررها من جيل إلى جيل"¹⁷، وهو ما يؤكد عليه إدوارد تابيلور الذي يرى بأن الثقافة تشكل "ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة، الإيمان، الفن، الأخلاق، القانون، الأعراف، وأية قدرات وعادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في جماعة"¹⁸؛ أي أن الثقافة في أساسها محملة بخصائص اجتماعية ترتبط بالعادات والتقاليد التي يكتسبها الفرد ضمن الجماعة المنتمي إليها، ويمررها إلى غيره من الأفراد بتوالي الأجيال.

مما تم تقديمه من تعاريف لمصطلحي النسق/ الثقافة نصل إلى نتيجة مهمة يتحدد من خلالها مفهوم النسق الثقافي بأنه يقصد به: "تركيبية اجتماعية منغرس في أعماق الخطاب تعبر عن الصورة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، يصعب اكتشافها بالقراءة السطحية كونها تختبئ خلف السطور، والنسق الثقافي هو عنوان المجتمع وهويته"¹⁹؛ فالنسق الثقافي إذن هو عبارة عن نظام يحمل بالعديد من الرموز التي تتطلب التعمق في قراءتها لاستكشاف مكنوناتها ومقصدها.

ويعرف عبد الله الغدامي النسق الثقافي انطلاقاً من اعتبار يرى فيه أن الأنساق الثقافية تشكل "أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائماً، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق"²⁰؛ أي أن مدلول النسق الثقافي عند الغدامي يتحدد من خلال التأثير الذي يحققه في أذهان الجماهير والمجتمعات لاستهلاك المنتجات.

ويرى العديد من الباحثين أن النسق الثقافي يعرف بكونه "البنية الذهنية التي تؤثر في بناء النصوص وتلقيها، تلك البنية تتكون من تفاعل مجموع عناصر الثقافة المعنوية والمادية التي تكتسب قوتها وضعفها من مراكز السلطة بعمومها، ويمكن تلمسها في تشكيل الخطابات الإبداعية وغير الإبداعية إما عبر مستويات ظاهرة أو مضمرة"²¹.

هذا ويعرف بعض الباحثين الأنساق الثقافية من منطلق كونها تعد "أنساق تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، ويكون لها دور في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها ورسم سيرتها الذهنية والجمالية لأن النقد الثقافي مشروع في نقد الأنساق والنسق مرتبط بكل ما هو مضمّر"²².

من هنا شكل النسق الثقافي أحد أهم الركائز التي قام عليها النقد الثقافي لقدرته على التعبير عن الكثير من القضايا المسكوت عنها واستخراج أنساقها المضمرة خاصة تلك القضايا التي تعنى بخطابات المهمشين وعلاقة الأنا بالآخر والدراسات النسائية وغير ذلك من القضايا والدراسات التي استطاع النسق الثقافي أن يعبر عنها ويكشف مكنوناتها.

3 الأنساق الثقافية في رواية "في البال":

تمثل رواية "في البال" للروائية غصون رحال أحد أبرز الخطابات السردية النسائية المحملة بالعديد من الأنساق الثقافية المضمرة، تناولت من خلالها الروائية تصوير واقع إنساني معيش، سعت عبرها إلى استنطاق كل ما هو مسكوت عنه بالتوقف عند الكثير من الخطابات المضمرة التي تستوجب استنطاق مكنونها، ولعل من أبرز الأنساق الثقافية البارزة في متن الرواية نجد:

1.3 نسق الذكورة والأنوثة:

شكل موضوع المرأة أحد أهم التيمات والمواضيع التي حظيت باهتمام كبير من طرف الروائيات؛ لما لهذا الموضوع من مكانة في ذات المرأة الكاتبة، هاته الأخيرة التي سعت عبر اتخاذها من الرواية مصدراً يتيح لها التعبير عن همومها خاصة في ظل سلطة ذكورية سعت دائماً إلى كسرها وتهميشها.

من هنا سعت الروائية إلى تقديم نصوص روائية عبرت من خلالها عن موضوع المرأة من خلال "وجهات نظر متعددة، وإن أجمعت على تصويرها ضحية القهر الاجتماعي المسلط عليها من الرجل"²³، هذا الأخير الذي كان ولازال يمارس فحولته على الأنثى مهماً في ذلك وجودها.

استطاعت الروائية غصون رحال عبر نصها السردى "في البال" أن تكشف لنا عن الكثير من القضايا التي تخص المرأة والتي لازالت إلى يومنا هذا تعد من أبرز القضايا المسكوت عنها والمحملة بالكثير من الخفايا والأنساق المضمرة التي تستوجب الوقوف عندها واستكناه مضمورها، فرغم ما يعيشه العالم الإنساني اليوم من حرية وما تدعو إليه الأمم من تحرر واحترام المرأة إلا أن هذا لا يغفل في جانب آخر أن المرأة مازلت إلى يومنا هذا مهمشة ومقهورة ومسكوت عن كثير من قضاياها، وهو ما سعت إلى التنبيه إليه الروائية غصون رحال في نصها الروائي (في البال) الذي جاء في العديد من جوانبه

محملا بخطابات ومقاطع سردية محملة بأنساق مضمرة تعبر عن حال المرأة المهمشة المسكوت عن قضاياها، من ذلك نمثل بمقطع سردي من متن الرواية يظهر همجية الرجل في تعامله مع المرأة، وذلك من خلال رصد لحديث بطل الرواية يقول فيه: "تولين... فتاة تركية كانت زميلتي في الجامعة حتى إنني كدت أتزوجها بعد التخرج... أم عماد ولميس كانتا قد اشترتا (الشبكة) وحضرنا إلى تركيا لطلب يدها من أهلها... ولكني غيرت رأيي في اللحظة الأخيرة ونفذت بجلدي... أحببتها نعم، ولكني اكتشفت أنني لم أكن مستعدة للتضحية بحريتي والارتباط النهائي"²⁴؛ إن الروائية هنا تنقل لنا ومن خلال اعتمادها لنسق مضمّر صورة التعامل الهمجي من طرف الرجل ضد المرأة؛ نستكشف ذلك من خلال ما يظهره هذا المقطع خلف سطوره، الذي جاء محملا بأنساق مضمرة تكشف عن صورة المرأة الضحية لألعايب الرجل؛ فهذا الرجل وعد المرأة بالزواج، لكنه أخلف بوعده، فهو هنا يحيل إلى صورة الرجل الهمجي الذي يتخذ من المرأة وسيلة لإشباع رغباته لكنه بعد إشباع رغباته يتركها خلفه محطمة بائسة.

ومن ملامح تمثل نسق الذكورة والأنوثة الذي سعت الروائية تسليط الضوء عليه نجد سردها لمظهر من مظاهر هذا التشكل الهمجي للتعامل الذكوري اتجاه المرأة الذي كان ولا زال مستمرا حتى الآن من ذلك نذكر: "لم يرغب أخي في الإنجاب بعد أن رزق بولدين وصار عمر أصغرها سبع سنوات، ولكن زوجته أصرت على إنجاب بنت، فقال لها مؤكدا: أنا لا أنجب البنات"²⁵؛ يصور هذا المقطع النسق المعتمد في الكثير من الخطابات السردية وخاصة الخطابات النسائية، فالمرأة سعت دائما لنقل الواقع المرير الذي تعيشه الأنثى حتى قبل مولدها، وهو ما صورته الروائية غصون رحال عبر هذا المقطع السردى الذي سعت من خلاله نقل واقع اجتماعي معبر عن سلطة بطريكية كرسست نفسها دائما على رفض المرأة ورفض وجودها ونصبت من نفسها موقع السلطة المركزية مقابل تهميش المرأة والخط من قيمتها ورفض وجودها.

2.3 الأنا العربي والآخر الغربي:

لعل من أبرز الأنساق الثقافية التي سعت الروائية إلى تسليط الضوء عليها في نصها الروائي "في البال" نجد سعيها إلى ترميز أنساق تضمّر في طياتها صور التعامل بين الأنا العربي والآخر الغربي، ومن أبرز صور الأنا العربي والآخر الغربي نجد حديثا جمع بطلا الرواية حول بريطانيا جاء فيه: "كيف وجدت الزمن هنا؟... قالت: وجدته حرا ومتجنيا في الوقت ذاته. هم أحرار منفتحون، أقوياء، يصوبون أخطاءهم إن أخطأوا ويصححون المسار... غير أن على هذه الأرض، التي تكثر فيها الثعالب، ثعالب أخرى بشرية تحتكر الحرية، وتعتبرها خاصية لا تشمل غيرها من الأمم، خاصة نحن... نحن بالنسبة لهم متخلفون أو رعا! لم ننضج بعد، وعلينا البقاء تحت وصايتهم إلى أن نتعلم كيف نصبح مثلهم، نحن بالنسبة لهم أحرار فقط عندما يتعلق الأمر بتقليدهم... أفهمني"²⁶؛ عبر هذا المقطع السردى تشكيل لنسق مضمّر سعت من خلاله الروائية الكشف عن أحد أوجه العلاقة بين كل من الأنا العربي والآخر الغربي، من خلال سرد يظهر النظرة التي أطلقها وقدمها العربي اتجاه الآخر الغربي والتي تنم وتحمل في حقيقة الأمر خطابا مضمرا حمل بين طياته الصورة النمطية المعبر عن التمركز الغربي مقابل التهميش العربي، فالغرب سعى دائم إلى التمركز والتحكم في مسار الحياة الإنسانية وجعل العالم العربي مجرد تابع لسلطته، فرغم ما ينادي به من حرية واستقلالية إلا أن هذه الحرية مبطنة بمسكوت عنه تمثل خاصة في جعل نفسه المركز مقابل التهميش والتبعية للعرب.

ومن صور تمثل نسق الأنا العربي والآخر الغربي في الرواية، نجد حضوره قد تجلّى في كلام بطلة الرواية بقولها: "صورتنا التي روج لها المستشرقون الغربيون... صورة ليست جميلة على الإطلاق"²⁷؛ عبر هذا المقطع نلاحظ نسقا مضمرا ينم عن

الصراع العربي مع الآخر الغربي منذ الأزل، فهذا الآخر الغربي كان ولا زال يسعى دائما إلى طمس معالم هوية العربي وتهميشه وإعطاء صورة زائفة غير جميلة عنه رغبة منه لتكريس سلطته ومركزيته مقابل تهميش الأنا العربي وجعله همجي تابع له.

3.3 . تمثيلات العداء الإسرائيلي وعنفه ضد الفلسطينيين في الرواية:

إن الرواية غصون رجال ومن خلال روايتها "في البال" عمدت إلى التطرق إلى أحد المواضيع والقضايا المهمة في حياة الإنسان العربي بل وفي تاريخ الحياة الإنسانية بصفة عامة؛ تجلّى ذلك خاصة في تطرقها إلى قضية المأساة الفلسطينية وما قاساه الشعب الفلسطيني من جراء هذا الاحتلال الغاشم، فقارئ هذا النص الروائي - في البال - يجد أن بؤرة الرواية في أساسها قامت على الاشتغال على موضوع أو تيمة القضية الفلسطينية وما قاساه الشعب الفلسطيني، ممررتا في ذلك الروائية عديد من القضايا المسكوت عنها التي لم يستطع الكثير التعبير عنها بشكل واضح.

سعت الرواية في روايتها "في البال" إلى تسليط الضوء على المجازر التي قام بهذا الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين مركزة في ذلك - الرواية - على تقديم صورة عن هذه المجازر من خلال نقل واقعي استندت في تقديمه على خبر ورد في قناة الجزيرة التلفزيونية مررت عبره نسقا مضمرًا يظهر همجية هذا الاحتلال من خلال تصرفاته الاستفزازية، تقول: "قناة الجزيرة تبث صوراً لبيوت مهالكة، وأجساد ممزقة... ويظهر وجه طفل مغطى بالدماء فوق نقالة يحملها رجال الإسعاف،... ويظهر بيت يلتصق بالأرض وامرأة تولول فوق أنقاضه... نيتانياهو، وباراك، وليفي يعقدون اجتماعاً مصغراً وهم يتبادلون الابتسامات على قناة CNN²⁸؛ عبر هذا المقطع السردى نلمح نسقا مضمرًا يظهر الهمجية والعنف الذي مارسه الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين فهم لم يرحموا لا النساء ولا حتى الأطفال الصغار، غير آبهين بحدة المجزرة التي قاموا بها وهو ما تأكد من خلال الابتسامات التي تبادلها قادة الاحتلال الإسرائيلي وهي ابتسامات تنم عن همجية وبشاعة هذا الاحتلال الإسرائيلي .

ومن صور العداء والعنف الذي مارسه الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، في الرواية نجد: "تفقدت بريدها الإلكتروني، فوجدت رسالة من (لورا) تخبرها: خرجت قبل قليل من مركز الأمن الإسرائيلي بعد أن تم اعتقالها لثلاثة أيام كنت ضمن المسيرة السلمية التي شارك فيها العديد من المواطنين الفلسطينيين والعشرات من المتضامنين الدوليين ضد السلطات الإسرائيلية في مواجهة بناء الجدار الفاصل ومصادرة أراضي قرية نعلين. أثناء ما كانت المسيرة تتوجه إلى الاعتصام في الأراضي التي قررت السلطات الإسرائيلية مصادرتها، قامت قوات الجيش الإسرائيلي بإطلاق قنابل الغاز والأعيرة المعدنية باتجاه المتظاهرين، أصيب 15 منهم بعيارات معدنية، ثلاثة منهم في الرأس، وأصيب عشرات آخرين بجالات اختناق. تصوري أن الجنود لم يكتفوا بهذا، بل لاحقوا المواطنين إلى داخل القرية واقتحموا العيادة الرئيسية فيها ومنعوا سيارات الإسعاف من نقل المصابين"²⁹؛ عبر هذا المقطع السردى نتكشف نسقا معبرا عن قضايا مسكوت عنها سعت الرواية إلى تسليط الضوء عليها والإفصاح عنها، لتظهر لنا همجية هذا الاحتلال المدمر الذي مارس كل أشكال العنف والتسلط ضد الفلسطينيين فهو سعى إلى أخذ أرضهم وتعذيبهم بل لم يمنحهم حتى حقهم في العلاج بعد الإصابات التي تسبب هو بها.

ومن أبرز صور العداء الإسرائيلي الممارس ضد الفلسطينيين نجد قول الروائية: "أخبرتني: ضربوا مدرسة لوكالة غوث اللاجئين، فأين يذهب الناس؟ الإحصاءات تشير إلى أن عدد الضحايا فاق الألف، والمنكوبين يصعب إحصاؤهم!"³⁰؛ يظهر هذا المقطع السردى مدى المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني من جراء احتلال إسرائيلي سعى دائما إلى تدميره والقضاء عليه نهائيا، فرغم تهجيرهم من أراضيهم وهدم منازلهم لم يمنح لهم الفرصة حتى العيش بسلام في وكالات اللاجئين بل سعى هذا الاحتلال إلى تدمير كل فرصة تسنح للفلسطينيين العيش والتنفس بسلام.

ولعل من أبرز صور العداء والعنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين الذي عمدت الروائية على تقديمه في نصها السردى نجد تضمينها في نصها الروائي لمقاطع سردية تعبر عن صور مقدمة من طرف أطفال فلسطينيين وأخرى لأطفال إسرائيليين جاءت محملة بالعديد من الأنساق التي تضمّن نظرة كل طرف للآخر (نظرة الفلسطيني للإسرائيلي والعكس)، من ذلك تمثل بمقاطع سردية تصف الصور المقدمة من الأطفال جاءت مقسمة إلى 3 صفوف: "الصف الأول يحتوي على صورتين متجاورتين، إحداها التقطها طفل فلسطيني والأخرى طفل إسرائيلي... في الصورة الأولى يظهر رجل فلسطيني وهو يتسلق الجدار ويعبر من خلال شق صغير إلى الجانب الآخر، تحتها تعليق يقول: هذا الجدار يمنع أبي من الوصول إلى حقله. وفي الصورة المجاورة، يظهر رجل فلسطيني وهو يحاول العبور من خلال الجدار إلى الجانب الآخر، أما التعليق الذي تحتها فيقول: هذا الرجل يعبر شق الجدار ليفجر نفسه في أسواقنا"³¹، ومن صور الصف الثاني نجد أن "الصورة الأولى لجرافة إسرائيلية تهدم بيتا يقف في طريق الجدار، وتعليق يقول: هدموا بيتنا لكي يبنوا الجدار. وفي الصورة الثانية، ركام منزل مهدم، والتعليق تحت الصورة يقول: الفلسطينيون يقذفوننا بالحجارة، ولديهم كثير منها في الركام"³²، أم صور الصف الثالث، فجاءت كالآتي: "احتوت الصورة الأولى على مجموعة من الأطفال وقد منعهم جندي إسرائيلي من العبور عبر الحاجز للوصول إلى مدرستهم، فأنشأوا كتابا سريعا وجلسوا برفقة مدرستهم يحفظون دروسهم بصوت مرتفع وصاخب، وتعليقهم يقول: الجدار يمنعنا من الوصول إلى المدرسة لكننا نتعلم. واحتوت الصورة الثانية على صورة لأطفال يقفون أمام حاجز في الجدار ويصرخون في الجندي طالبين العبور، التعليق تحتها يقول: الأطفال على الجانب الآخر يثيرون الضجيج ومزعجون"³³.

عبر هذه المقاطع السردية سعت الروائية إلى الكشف عن المسكوت والمضمر مركزة في كشفها هذا على استخدام الأطفال كقناع ووسيلة تكشف بهم عن شدة الظلم والقهر الذي عاشه ولا زال يعيشه الفلسطينيون إلى يومنا هذا فحدة الظلم لم تتوقف بل زادت وصارت أشد من قبل، والروائية في كشفها عن هذا النسق المضمر والمسكوت عنه، عمدت إلى اعتماد وصف لصور مقدمة من طرف أطفال، تظهر هاته الصور المقدمة من طرف الأطفال الفلسطينيين العذاب والقهر الذي عاشوه وأهلهم في أرضهم من ظلم ونهب لأراضيهم وممتلكاتهم وحرمانهم من حقوقهم أبسطها حق التعليم، لكن رغم هذا الظلم لم يمنعهم الأمر من السعي والمحاولة الدائمة في استرجاع حقوقهم وسعيهم دائما إلى التعلم بأبسط الطرق.

في مقابل هاته الصور، وظفت الروائية صور مقدمة من طرف أطفال إسرائيليين تظهر بشاعة وهمجية هذا العدو الغاشم فرغم صغر السن والبراءة المعروفة على الأطفال إلا أن حدة وهمجية الإسرائيلي متبدية عليه منذ الصغر، فمن صغره سعى دائما إلى تكريس منطق تهميش الفلسطيني واعتباره همجي ولا بد عليه أن يرضخ لسلطة الإسرائيليين دون إصدار صوت. صفوة القول مما تقدم نستطيع القول أن رواية "في البال" لغصون رحال تمثل أحد أهم النصوص السردية النسائية العربية المتميزة بما قدمته من العديد من القضايا سعت الروائية من خلالها الكشف عن الكثير من القضايا الإنسانية المسكوت

عنها، واستطاعت من خلالها إسقاط المقولة التي تقر بأن المرأة الكاتبة جعلت من نصها الإبداعي مصدرا للروح بمشاعرها وقضاياها ليس إلا، ولعل رواية "في البال" استطاعت إبطال هذه المقولة، من خلال ما تم تقديمه من مضامين مست العديد من السياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

4. خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

- تمثل الأنساق الثقافية أحد أهم مركّزات النقد الثقافي؛ وذلك لما لها من دور تجسّد خاصّة في تمكينها النقد الثقافي من استجلاء كل ما هو كامن ومضمّر مخفي وراء الجمالي؛ فهي -الأنساق الثقافية- تعد بمثابة آليات الحفر في عمق النصوص تساهم في التعريف والكشف عن الكثير من القضايا المسكوت عنها، وبالتالي ساهمت في جعل النقد الثقافي يهتم بالعديد من الخطابات التي غفل عنها سابقا والتي كان من أبرزها قضايا المهمشين، النسوية... وغيرها.
- يعد النقد الثقافي أحد أهم المقاربات النقدية الحديثة اهتماما بالأدب النسائي وما تقدمه المرأة من إبداعات، من خلال قدرته على الحفر في باطن الخطاب النسائي وكشف مضمّراته.
- تمثل رواية "في البال" للروائية غصون رحال أحد أبرز الروايات العربية النسائية التي جاءت محملة ومثقلة بالعديد من الأنساق الثقافية التي تضمّر كسفا عن العديد من القضايا المسكوت عنها.
- سعت الروائية من خلال تقديمها لنسق الذكورة والأنوثة في روايتها "في البال" إلى تأكيد استمرار الصراع الذكوري الأنثوي، فرغم ما وصل إليها العالم اليوم من تقدم وما ينادي به من تحرر واحترام إلا أن موضوع التمرّكّز الذكوري والتهميش الأنثوي لا زال مستمرا إلى حد الساعة، وهو ما عبرت عنه الروائية في روايتها من خلال تقديمها للعديد من المقاطع السردية المبطنة والمضمرة لهذا النسق -جدلية الذكورة والأنوثة- كاشفة من خلالها عن استمرار هذا الصراع.
- عمدت الروائية غصون رحال في روايتها في البال إلى تسليط الضوء على نوع من أنواع الأنساق الثقافية تمثل في تشكيلها لخطاب الأنا العربي والآخر الغربي، كاشفة من خلال هذا النسق عن واقع إنساني يعيش فيه الأنا العربي تهميشا ودونية مقابل تمرّكّز وسلطة الآخر الغربي.
- شكل نسق تمثيلات العداء الإسرائيلي وعنفه ضد الفلسطينيين في الرواية بما يحمله من أبعاد نسقية بؤرة محورية قامت عليها الرواية، فالروائية غصون رحال من صفحات روايتها الأولى حتى نهاية الرواية لم تغفل عن تقديم هذا النسق كاشفة من خلاله عن العديد من الجوانب المسكوت عنها، ومبطنة في ذلك عبره رسائل تدعوا من خلاله إلى السعي الدائم إلى الوقوف ضد هذا الاحتلال الإسرائيلي وكشف همجيته وما يقوم به من تعنيف وظلم ضد الفلسطينيين.

5- الهوامش:

¹ عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان للنشر، بيروت- لبنان، ط: 1، 1986، ص: 274.

² الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط: 8، 2005، ص: 925.

- ³ فاطمة قيدوش، حنان بومالي، الأنساق الثقافية في قصة "أفعى جريح" لغادة السمان، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 09، ع: 03، 2020، ص: 120.
- ⁴ ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط1: 2005، ص: 21.
- ⁵ المرجع نفسه، ص: 21.
- ⁶ أمجد مجدوب رشيد، السرد (الأنساق السيميائية والتخييل دراسة نقدية تطبيقية)، مطبعة وراقة بلال، المغرب، ط2: 2020، ص: 26.
- ⁷ إديث كريزويل، آفاق العصر (عصر البنيوية)، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1: 1993، ص: 415.
- ⁸ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1: 2009، ص: 140-141.
- ⁹ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، عالم المعرفة، الكويت، يناير 1978، ص: 193-194.
- ¹⁰ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1: 1998، ص: 195.
- ¹¹ ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)، ص: 21.
- ¹² المرجع نفسه، ص: 22.
- ¹³ عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ص: 36.
- ¹⁴ تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، بيروت - لبنان، ط1: 1999، ص: 17.
- ¹⁵ أندرو إدجار وبيتر سيد جويك، موسوعة النظرية الثقافية (المفاهيم والمصطلحات الأساسية)، تر: هناء الجوهري، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، ط2: 2014، ص: 5.
- ¹⁶ أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، الناشر: مكتبة نهضة الشرق، القاهرة - مصر، د.ط، 1983، ص: 80.
- ¹⁷ أرثر أيزابجر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، ط1: 2003، ص: 191.
- ¹⁸ تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، ص: 15.
- ¹⁹ سماح عبد الله الفران، ثقافة النص (قراءة في السرد اليميني المعاصر)، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1: 1436هـ - 2016م، ص: 17.
- ²⁰ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، الناشر: المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3: 2005، ص: 79.
- ²¹ أحمد موسى ناصر المسعودي، الأنساق الثقافية في تشكيل صورة المرأة (في الرواية النسائية السعودية)، الانتشار العربي، بيروت - لبنان، ط1: 2014، ص: 34.
- ²² العمري بوهزة، مهدية ساهل، الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج: 14، ع: 2، 2021، ص: 289.
- ²³ سهيلي سمراء، الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: النوي مليكة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر، 2019-2020، ص: 180.

²⁴ غصون رحال، في البال، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1: 2010، ص: 115-116.

²⁵ الرواية، ص: 131.

²⁶ الرواية، ص: 41.

²⁷ الرواية، ص: 108.

²⁸ الرواية، ص: 10.

²⁹ الرواية، ص: 20-21.

³⁰ الرواية، ص: 192.

³¹ الرواية، ص: 228.

³² الرواية، ص: 228.

³³ الرواية، ص: 228-229.

6 قائمة المصادر والمراجع:

❖ قائمة المصادر:

1- غصون رحال، في البال، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1: 2010.

❖ قائمة المراجع:

✓ المراجع العربية:

- 1- أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، الناشر: مكتبة نهضة الشرق، القاهرة- مصر، د.ط، 1983.
- 2- أحمد موسى ناصر المسعودي، الأنساق الثقافية في تشكيل صورة المرأة (في الرواية النسائية السعودية)، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط1: 2014.
- 3- أمجد مجدوب رشيد، السرد (الأنساق السيميائية والتخييل)، مطبعة وراقة بلال، المغرب، ط2: 2020.
- 4- تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط1: 1999.
- 5- سماح عبد الله الفران، ثقافة النص (قراءة في السرد اليميني المعاصر)، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1: 1436هـ - 2016م.
- 6- ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط1: 2005.
- 8- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1: 1998.
- 9- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، الناشر: المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3: 2005.

10- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1: 2009.

✓ المراجع المترجمة:

- 1- إديث كريزويل، آفاق العصر (عصر البنيوية)، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1: 1993.
- 2- آرثر أيزنجر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، ط1: 2003.
- 3- أندرو إدجار وبيتر سيد جويك، موسوعة النظرية الثقافية (المفاهيم والمصطلحات الأساسية)، تر: هناء الجوهري، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، ط2: 2014.

✓ معاجم وقواميس:

- 1- عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان للنشر، بيروت - لبنان، ط: 1، 1986.
- 2- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: 8، 2005.

✓ المقالات العلمية:

- 1- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، عالم المعرفة، الكويت، يناير 1978.
- 2- العمري بوهزة، مهدية ساهل، الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج: 14، ع: 2، 2021.
- 3- فاطمة قيدوش، حنان بومالي، الأنساق الثقافية في قصة "أفعى جريح" لغادة السمان، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 09، ع: 03، 2020.

✓ الرسائل الجامعية:

- 1- سهيلي سمراء، الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: النوي مليكة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر، 2019 - 2020.